عريس الغفلة
(1)

ترجل سمير من الترام أمام شارع زين العابدين وسار يتطلع فى العمائر التى كان معظمها قديمة، ولكنها كانت جميلة إلى حد ما تدل على ثراء ورقيّ مضى عليه الزمن، وتذكر بيته فى إحدى القرى الريفية التابعة لمركز كفر الدوار، هذا البيت الطينى الذى يتكون من ثلاث حجرات صغيرة، واحدة لوالدية والثانية له وإخوته الستة، والثالثة للحمار الذى كان يمتطيه أبوه إلى الحقل الذى يعمل به.

تذكر سمير حياته البائسة فى القرية وغرفته هو وإخوته التى لم تهدأ أبداً من الهرج والمرج والبكاء والعويل من إخوته الصغار، وكثيراً مع عدد ليس بالقليل من أطفال القرية بسبب الجوع أو الشجار. فكان لا يستطيع المذاكرة أو حتى سماع نفسه عندما يتكلم.

وقف سمير أمام باب العمارة التى تقيم فيها الأستاذة / عنايات رئيسته فى العمل وقد هم بالدخول إليها، لكن حارس العمارة استوقفه باستنكار وتطلع إليه شزراً، فقد كان سمير قليل الجسم يرتدى قميصًا بنصف كم رغم برودة الطقس، وبنطالًا ضيقًا قصيرًا كأنه استعاره من أخيه الصغير، وحذاء قديمًا ليس له لون لكنه كان يلبس فى أصبعه خاتماً رقيقاً ، ذهبياً جديداً لامعاً، وكان ضيقاً جداً على أصبعه يكاد يقطعه.

سأل الحارس: رايح فين يا أستاذ ؟

رايح شقة عبد الهادى بك. ولم ينس سمير أن يمسح على شعر رأسه الأكرت حتى يرى حارس العمارة الخاتم الجديد فى أصبعه ويعرف مدى ثرائه.

أجابه الحارس: الطابق السابع.

سأل سمير الحارس : ما هو رقم الشقة ؟

أجابه الحارس بنفور : هى شقة واحدة على سطح العمارة ولن تتوه عنها، ثم ضحك بسخرية.

لم يستفسر سمير عن مكان المصعد فإن حارس العمارة لم يبال به أو بعبد الهادى بك. وصعد سمير الدرجات بخفة ونشاط ووقف أمام شقة الأستاذة/ عنايات رئيسته فى العمل وقد بُهت، فإن هذه الشقة عبارة عن عدد من غرف الغسيل التى كان يستعملها السكان فيما مضى أيام عز مصر ورخائها، وقد تم وضع باب على كل منها لاستخدامها كمسكن.

لمس سمير الجرس الكهربى برقة فخرج منه صوت جميل متقطع مثل صوت البلابل، لكن الباب لم يُفتح، فانتظر سمير قلقاً لبضع دقائق وهو يفكر فى المهمة التى أتى إليها والمشروع الذى عمل عليه طويلاً. فتح الباب فجأة وأطل منه رجل عجوز نحيل أشيب الرأس يرتدى بيجامة قديمة، فسأله بعد أن نظر إليه متعجباً:

- ماذا تريد ؟

- هل حضرتك عبد الهادى بك ؟

- ومن حضرتك ؟

- سمير شعبان زميل الأستاذة / عنايات يا أفندم.

- تفضل فى الصالون.

دخل سمير الشقة وقد كانت صغيرة للغاية، وهو يتطلع لأثاثها القديم الغير متناسق، وجلس فى الصالون العتيق وهو يبتسم ابتسامة خبيثة، أهذا بيت الأستاذة عنايات بنت عبد الهادى بك التى طالما تحدثت عن أبيها وعن ثرائه وعن سكنها الفاخر؟! لكنه لم ينس أن يجلس ويضع ساقًا على ساق ويضع يده اليمنى عليها لكى يظهر الخاتم الذهبى اللامع.

- سوف أحضر لك عنايات حالاً.

- لكنى أريد أن أتحدث مع حضرتك أنت وليست الأستاذة عنايات.

صاح عبد الهادى بك : عنايات أحضرى شايًا للضيف، وجلس قبالة سمير مستفسراً وسأله:

(2)

خيرًا إن شاء الله ؟

أجاب سمير بغطرسة وهو يضع ساقًا فوق ساق وأصبعه يئن من ضيق الخاتم الذهبى : خير إن شاء الله يا عمى.

نظر إليه عبد الهادى بك بتعجب واستنكار.

استطرد سمير فى حديثه بجرأة لم يعهدها فى نفسه من قبل وقال : إننى أطلب يد الآنسة عنايات بنت حضرتك.

نظر إليه عبد الهادى بك باشمئزاز وقال : عنايات تكبرك على الأقل بخسمة عشرة عامًا .... وفى هذه الأثناء دخلت عنايات بصينية الشاى، وعندما رأت سميرًا أصابها الفزع فصاحت : من ؟ سميرشعبان ماذا تريد يا وجه القرد؟. وكيف عرفت سكنى ؟

فقال أبوها : أنه يريد الزواج منك. وضعت عنايات الصينة على المائدة وقالت لسمير بلهجة آمرة ساخطة وهى تشير إلى الباب : اخرج بره يا وقح . سوف أعلمك الأدب.

ابتسم سمير فى برود وسماجة وقال : ممكن أشرب الشاى أولاً ؟ ولماذا هذا الهياج منك يا عنايات، أنا دخلت البيت من بابه وأطلبك فى الحلال، والرسول عليه الصلاة والسلام تزوج أم المؤمنين ..... لم تدعه الأستاذه عنايات يكمل جملته فصاحت وهى ممسكة بالشاى الساخن تريد أن تقذف به فى وجه سمير: اخرج من هنا يا حيوان يا صعلوك قبل أن اقذف بك من الطابق السابع.

نظر إليها سمير فى رعب وعرف أنها لا تتورع فى فعل ما تقوله، فهى رغم قباحة وجهها وكبر سنها لكنها كانت ذات بنية قوية وشخصية نافذة.

انهارت الأستاذة عنايات بعد خروج سمير من منزلها مطروداً واستمرت فى البكاء وقالت لأبيها: إن سمير سوف يقول كلامًا كثيرًا عنها ويفضحها فى الإدارة، وخاصة بعد أن رأى منزلنا من الداخل وحالته المزرية.

فقال أبوها : الفقر ليس عيبًا وإنما العيب أن يتظاهر الشخص بما ليس فيه.

خرج سمير وهو يتعجب من رفض هذه العانس العجوز قبيحة الوجه والألفاظ لطلبه المشروع. لكنه بدأ يفكر ما سوف تفعله به غداً فى العمل وقدرتها أن تحيل حياته جحيمًا. فـأقر فى نفسه أن خير دفاع هو الهجوم، ووقف عند أحد المحلات فى شارع محرم بك لشراء بعض الأغراض.

وفى اليوم التالى ذهب سمير إلى عمله مبكراً قبل زملائه وقبل رئيسة القسم الأستاذة عنايات، وذهب حيث مكتبها وتأكد أن أحدًا لا يرى ما يفعله ودس شيئًا دقيقًا فى درج مكتبها المغلق بالمفتاح، لكنه استعان بمسطرة دقيقة قد أحضرها معه لهذا الغرض.

امتلأت غرفة المكتب بالزملاء، وبدأ بعضهم فى العمل والبعض الآخر يتحدث عن مباراة الأهلى والزمالك وأشياء أخرى كثيرة ليس لها علاقة بالعمل، لكن سميرًا لم يهتم بما يعملونه أو يقولونه إنما كان اهتمامه ناحية الباب يترقب رئيسة القسم الأستاذة عنايات.

سمع سميرعنايات تسأل عن المدير العام عند قدومها، فابتسم ابتسامة شيطانية فهو يعرف ما سوف تفعله به، فسوف تحيله للتحقيق بأى تهمة تراها، وعلى الأقل تطلب نقله من الإدارة إلى إدارة أخرى خارج الأسكندرية. لكن سميرًا كان لدية كل الحيل القذرة وغيرها للانتصار عليها.

دخلت عنايات غاضبة غرفة المكتب حيث كان بها ثلاث موظفات وثلاثة موظفين، ولم تبدأ بالسلام أو الصباح، فقال أحد الموظفين فى صوت خافت : هذه بداية سيئة لهذا اليوم. جلست عنايات على مكتبها وسمير يراقبها من خلف نظارته السميكة، وصرخت عندما فتحت درج مكتبها وقالت: إننى أعرف السافل الوقح الذى وضع هذا فى مكتبى .

فسألتها إحدى الموظفات : وضع ماذا يا أستاذة ؟

لم تجيب الأستاذة عنايات عن السؤال، وإنما أخذت حقيبة يدها وذهبت للمدير العام.وبعد دقائق حضر المدير العام وقال الأستاذة عنايات طلبت النقل من هنا، وسوف تمكث فى بيتها حتى يأتى قرار النقل إلى إدارة أخرى.

أخرج سمير بعض الملفات للعمل بها حتى يأتى رئيس قسم آخر وهو مستمر فى ابتسامته الشيطانية.

لم يعرف أحد من الموظفين سبب هياج الأستاذة عنايات إلا سمير الذى قص على زميله القريب منه قصة محاولته الزواج منها وسأله زميله عن سبب هياجها وسُبابها عندما فتحت درج مكتبها. فقال له سمير وهو يبتسم ابتسامته الشيطانية ولم ينس أن يفرك خاتمه الذهبى الدقيق:

عنايات كانت تسبنى أنا لأنى وضعت فى درج مكتبها شيئًا بسيطًا.

فسأله زميله : وما هو هذا الشئ البسيط ؟

قال سمير بخبث وندالة : لقد وضعت لها قميص نوم أحمر اللون لأذكرها أنها امرأة وليست رجلًا كما كانت تعتقد هى.

تمت

***